# السيرة الذاتية

## للمستشرق الالماني بروكلمان

## ( ١٨٦٨ ـ ١٩٥٦ م )

الدكتور كامل عياد

**١ ـ مقدمة**

نشرت مجلة ( أوريانس Oriens ) التي تصدرها الجمعية الدولية للدراسات الشرقية في عددها المزدوج ( ٢٧ ـ ٢٨ ) ـ ليدن ١٩٨١ ـ ذكريات و ملاحظات كان سجلها المستشرق الكبير الأستاذ ( كارل بروكلمان ) في سنة ١٩٤٧ ، وبقيت محفوظة لدى أسرته حتى حصل عليها رئيس تحرير المجلة المستشرق الاستاذ ( رودولف زلهايم ) من جامعة ( فرانكفورت/على الماين ) .

وقد عرف الأستاذ ( زلهايم ) أن ( الذكريات والملاحظات ) لم يكتبها الأستاذ ( بروكلمان ) بقصد النشر ، بل أراد حفظها لولده الذي يحمل أيضاً اسم ( كارل ) والذي كان وقع في الأسر عند استسلام الجيش النازي في ( ستالينغراد ) سنة ١٩٤٣ .

ثم تسربت مؤخراً ، بعد انقطاع طويل ، أخبار عن الابن وعن احتمال رجوعه من الأسر . وبالفعل عاد الابن في أوائل الخمسينات وعمل طبيباً في مستشفيات المانيا الغربية قبل أن ينتقل إلى جزيرة ( سوماطرا ) للعمل فيها دون أن يجتمع بوالده في ( هاللة ) بالمانيا الشرقية .

كان الأستاذ ( بروكلمان ) أحيل في سنة ١٩٤٥ على التقاعد من كرسي أستاذية اللغات الشرقية في جامعة ( برسلاو ) ثم اضطر إلى النزوح عن هذه المدينة التي ضمت إلى ( بولونيا ) بعد دخول الجيش السوفياتي إليها في تموز من سنة ١٩٤٥ ، وهكذا فقد ( بروكلمان ) كل ما يملك وانقطع راتبه التقاعدي .

على أنه لما وصل إلى مدينة ( هاللة ) توسط له رئيس جامعتها المستشرق ( آيسفيلد ) في تشرين الأول ١٩٤٥ لتولي أمور مكتبة الجمعية الالمانية للمستشرقين والحصول بذلك على مورد للعيش مؤقتاً .

والى ( بروكلمان ) يرجع الفضل في المحافظة على هذه المكتبة القيمة في مكانها بأمر من الضابط المسؤول في الادارة العسكرية لمنطقة الاحتلال السوفياتية وذلك احتراماً لشخصية العلامة الالماني المشهور .

وقد أشرف ( بروكلمان ) على نقل الكتب من مخابئها إلى مقر الجمعية . ويتذكر رواد المكتبة أنهم في شتاء سنة ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ وفي البرد القارس الذي يهبط إلى ( ٣٠ ) درجة تحت الصفر كانوا يشاهدون رجلاً متقدماً في السن ملتحفاً بمعطفه الأسود ، جالساً في مدخل المكتبة والى جانبه مدفأة كهربائية تشعل اذا لم يكن التيار الكهربائي مقطوعاً في أكثر الأحيان . هذا الرجل كان الاستاذ ( بروكلمان ) نفسه الذي قام بإعداد الفهرس لكتب جمعية المستشرقين الالمان ..

في خريف ١٩٤٧ تحرر الأستاذ ( بروكلمان ) من متاعب أعمال المكتبة اذ عهدت إليه جامعة ( مارتين لوثر ) في ( هاللة ) بكرسي أستاذ اللغة التركية ، فتهافت عليه الطلاب الذين كانوا يدرسون معه النصوص التركية والعربية والسريانية والأكادية والحبشية والذين كان يشرح لهم

اشتقاق الكلمات ومقارنتها في مختلف اللغات بالاضافة إلى معلومات غزيرة أدبية وتاريخية كان يجود بها .

كان بين الطلاب الذين التفوا حوله لدراسة اللغة العربية على كتابه ( قواعد اللغة العربية ) الشاب ( رودولف زلهايم ) الذي أرسله ( بروكلمان ) الى المانيا الغربية ، وكلفه بالاشراف على طبع الأجزاء الملحقة من كتاب ( تاريخ الآداب العربية ) المشهور لدى ناشره في هوللاندا .

جلس ( بروكلمان ) يوم ١٤ أيلول سنة ١٩٤٧ ، بعد أن بلغ التاسعة والسبعين من العمر وانتهى في عدة ساعات من كتابة سيرته الذاتية معتمداً على ذاكرته دون أن تكون لديه مذكرات مكتوبة . ولا عجب فقد اشتهر ( بروكلمان ) بقوة عجيبة في التذكر ، و بقدرة فائقة على تركيز أفكاره ، و بطاقة هائلة للعمل . وقد ظلت هذه السيرة الذاتية محفوظة لدى زوجته الثانية التي اقترن بها بعد وفاة زوجته الاولى في سنة ( ١٩٤٦ ) والتي كان محتاجاً لرعايتها بعد أن بلغ الثانين من العمر .

ولما جاء تلميذه ( زلهايم ) ، الذي أصبح استاذاً في فرانكفورت / ( على الماين ) في زيارة إلى ( هاللة ) في سنة ( ١٩٥٨ ) اطلع على هذه السيرة التي تنازلت زوجة ( بروكلمان ) عنها إليه .

كان ( زلهايم ) يعلم بأن أستاذه ( بروكلمان ) لم يفكر أبداً في نشر ما كتبه عن سيرته الذاتية . ولكنه رأى مع غيره من المستشرقين بأن للأجيال الناشئة كل الحق في معرفة جميع النواحي المتعلقة بهذه الشخصية العلمية الفذة وأن يقرؤوا ما كتبه عن نفسه هذا المستشرق الذي يحتل مكانة عالية في تاريخ علم الاستشراق . وهل هناك من مستشرق على

وجه الأرض لا يعرف اسم ( بروكلمان ) ولم يرجع إلى مؤلفاته ويحمده على ما يقتبسه عنها من علم سواء في الوقت الحاضر أو المستقبل على الرغم من التقدم العلمي المستمر في دراسة تراث الشرق وازدياد التخصص والتعمق في البحث ؟

**٢ ـ أسرة ( بروكلمان ) ونشأته**

يبدأ ( بروكلمان ) سيرته الذاتية بالكلام على أجداده وفروع أسرته ويذكر بعض أفراد عرفت أسماؤهم منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر في مقاطعة ( هانوفر ) وبالأخص في مدينة ( روشتوك ) على بحر البلطيق ، حيث ولد ( بروكلمان ) سنة ١٨٦٨ . وكان والده يميل إلى الزراعة مثل أجداده ولكنه اضطر إلى الاشتغال بالتجارة دون رغبة منه حتى انتهى إلى الافلاس فتولى أعمالاً ادارية بسيطة في مستشفى الجامعة وفي احدى المكتبات ..

نشأ ( كارل بروكلمان ) ( Carl Brockelmann ) في ( روشتوك ) ، حيث أتم الدراسة الثانوية ( الجمنازيوم ) . وهو يذكر أسماء بعض أساتذته الذين عرفوا بالكفاية . ويمدح مدرسي اللغة الالمانية اللذين كان أحدهما يدرس أيضاً اللغة العبرية التي كان تعلمها اختيارياً ، فاختارها ( بروكلمان ) لأنه ظل خلال فترة قصيرة يفكر في دراسة اللاهوت بالجامعة . الا انه سرعان ما أحب اللغة ذاتها . ولا حظ المدرس اهتمامه بهذه المادة خلافاً لجميع زملائه فأخذ يشجعه و يساعده . ولما أثبت تفوقه في فحص الشهادة الثانوية اتصل مدرسه بأستاذ اللغات الشرقية في الجامعة لتقديم التوصية بشأنه ، وبالفعل كان للاستاذ ( فيليبي ) أكبر الأثر في مجرى حياة ( بروكلمان ) .

ويشكو ( بروكلمان ) من مدرس اللغتين الفرنسية والانكليزية الذي لم يتعلم التلاميذ منه شيئاً . فقد كان من خريجي معاهد اليسوعيين ، لفق كثيراً من الكتب التافهة وفرض على التلاميذ مراجعتها في حين كان يقضي دوماً نصف ساعة الدرس في الثرثرة ورواية حوادث البلدة .

وقد خص ( بروكلمان ) بالذكر مدرسين في الصفوف الوسطى : أحدهما مدرس اللغة الالمانية ( كرن ) الذي لمع اسمه اذ ذاك بين كتاب الشباب المحبوبين ، والذي كانت قصصه ورواياته تلهب خيال الناشئين وتغذي ميولهم إلى المغامرات في بلاد الشرق البعيدة . أما المدرس الثاني فهو الدكتور ( شتريليتس ) المتميز في اللغات الكلاسيكية ( اليونانية واللاتينية ) وهو ، على الرغم من كونه ( يهودياً ) ورغم ضؤولة مظهره كان قادراً على فرض النظام في الصف .

يقول ( بروكلمان ) : « منذ الصفوف العليا الاولى بدأت تظهر بوضوح ميولي التي ظلت تسيطر على حياتي . فقد كانت لنا في المدرسة اذ ذاك حلقة للقراءة تجتمع مرتين كل اسبوع ، فكنا نأتي كل يوم أربعاء بمجلة ( غلوبوس ) ، وكل يوم سبت بمجلة ( البلاد الأجنبية ) ، وهما المجلتان الرائدتان في تلك الفترة التي كانت ما زالت تشهد تعاقب الاكتشافات الجغرافية الكبيرة في آسيا وافريقيا . وبتأثير ذلك اتجه خيالي مبكراً نحو الشرق . وكان اهتمامي مركزاً في الدرجة الأولى على المعلومات اللغوية التي يرد ذكرها في المجلتين . وبالاستناد إلى ذلك قمت ، وأنا في الصف الثانوي قبل الأخير ، بوضع قواعد لهجة ( البانتو ) السائدة في المستعمرة البرتغالية ( آنغولا ) . وكانت أكبر أمنيتي أن أعيش فيما وراء البحار . ومما كان يدفعني إلى ذلك الأوضاع السيئة في ( روشتوك ) . فقد كانت الحياة التجارية في الحضيض ، وكان التجار الموهوبون يسعون إلى

خارج البلاد ، وكنا نسمع كثيراً عن أبناء جيراننا الذين كانوا يمارسون التجارة أو ادارة الشركات في أمريكا الجنوبية أو في روسيا ، وعن الذين أصبحوا أغنياء . وعلمت مثلاً أن اثنين من زملائي التلاميذ قاما بتأسيس شركة للتصدير في ( شانغهاي ) .

ولكن من المؤسف أنه لم تكن لدي أي ميول أو مواهب تجارية . ولذلك فكرت أحياناً في دراسة اللاهوت ثم القيام بأعمال التبشير . وكان يخطر لي في بعض الأوقات دراسة الطب حتى أصبح طبيباً في البحرية فأتمكن من الرحيل إلى كثير من أنحاء العالم .

وفي الأخير تغلبت اهتماماتي اللغوية على كل الاتجاهات الأخرى . فقد كنت ، بعد أن تعلمت اللغة العبرية ، بدأت في الحال دراسة الآرامية ـ الانجيلية التي وضعتُ لها القواعد النحوية بنفسي ، كما تعلمت وأنا في الصف الثانوي الأخير اللغة السريانية ..

عندما انتهيت من فحوص الدراسة الثانوية في سنة ١٨٨٦ كان قد تم تأسيس معهد الاستشراق في برلين لاعداد التراجمة المطلوبين في خدمة السفارات والقنصليات ، وكذلك العمل في مستعمراتنا ، وقد بدا لي أن هذه هي الطريق الصحيحة بالنسبة لمستقبلي ، واعتقدت انه يحسن بي دراسة اللغات الشرقية في المعهد الجديد . ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث لحسن الحظ . فإن التراجمة الذين تعرفت عليهم فيما بعد كانوا ، في أثناء أعمالهم الرتيبة ، قد فقدوا كل اهتمام علمي ولم يكتب لهم التقدم في مسلك حياتهم ماعدا واحداً منهم هو ( فريتس روزن ) الذي أصبح سفيراً ، بل تولى في عهد الجمهورية وزارة الخارجية مدة ستة أشهر .

إن ( بروكلمان ) يذكر فضل والدته التي كانت تطلب منه ، وهو في

المدرسة ، أن يقرأ لها مؤلفات جميع الكتاب الألمان ( الكلاسيكيين ) بالاضافة الى الروايات المرغوبة في ذلك الوقت وعلى الأخص الروايات التاريخية فكان لهذه القراءات أثر في توسيع ثقافته العامة .

ثم يروي ( بروكلمان ) كيف كان يخرج أيام الأحد للنزهة مع والده ويتحدث اليه عن مشاريعه للمستقبل . ولكن والده اضطر بعد مدة قصيرة أن يعترف له بعجزه عن مساعدته على دخول الجامعة وتحقيق أهدافه ، وأن عليه بعد الآن الاعتماد على نفسه فقط .

**٣ ـ الدراسة الجامعية والكفاح في سبيل العيش**

يقول ( بروكلمان ) : « لما » سجلت » بجامعة ( روشتوك ) في عيد الفصح سنة ١٨٨٦ انتقيت ، عدا اللغات الشرقية ، مادتي اللغات الكلاسيكية والتاريخ حتى يتسنى لي في يوم ما التقدم إلى فحص ( أهلية التعليم الثانوي ) لأن الاختصاص في اللغات الشرقية لم يكن ، كما بدا لي ، كافياً وحده لضمان العمل في المستقبل » .

ثم يذكر ( بروكلمان ) انه بدأ دراسة اللغتين العربية والحبشية على الاستاذ ( فيليبي ) الذي استطاع ، عندما اطلع على ظروف أسرة ( بروكلمان ) المادية السيئة ، أن يحصل له على أكبر منحة دراسية مخصصة للتوزيع اذ ذاك تبلغ ( ٧٥٠ ) مارك في السنة دون اشتراط الدراسة في مدينة ( روشتوك ) ذاتها . وبعد ذلك نصحه أستاذه بالانتقال إلى ( برسلاو ) ومتابعة دروس صديقه الاستاذ ( بريتوريوس ) .

يقول ( بروكلمان ) بعد انتقاله في عيد الفصح سنة ١٨٨٧ إلى ( برسلاو ) : « كانت المعيشة في ( برسلاو ) رخيصة ، فلم اضطر إلى العمل لكسب بعض المال الا في الفصل التالي ، و ذلك عن طريق

الدروس الخاصة بأغنياء اليهود الذين كانوا يحرصون على تعليم أولادهم اللغة العبرية . وقد درست في ( برسلاو ) مدة فصلين اللغات الشرقية لدى الاستاذ ( بريتوريوس ) وعلى الاستاذ بلا كرسي ( فرنكل ) ، وهو يهودي فطن جداً تتلمذ على ( بريتوريوس ) وعلى ( نولدكه ) . كذلك تابعت محاضرات ( فرنكل ) عن ( التلمود ) التي كان يلقيها على طلاب معهد ( الحاخامين ) . »

ويذكر ( بروكلمان ) ان ( فرنكل ) وصى به طبيب العيون ( كوهن ) الذي كان يرغب في زيارة ( استانبول ) مرة ثانية وطلب معلماً للغة التركية ، وكان ( بروكلمان ) بدأ دراسة هذه اللغة بنفسه ، فقبل العمل مدة ساعة في الاسبوع مقابل أجر حسن ، ولكن عمله اقتصر في الواقع على مجالسة ( كوهن ) لاحتساء القهوة معه والتدخين والاستماع إلى أحاديثه عن استانبول لتصحيح بعض الكلمات والتعابير ، لأن ( كوهن ) لم يكن حقاً يريد تعلم اللغة التركية وإنما اعتبر هذه الدروس نوعاً من الدعاية ..

ثم انتقل ( بروكلمان ) في عيد الفصح سنة ( ١٨٨٨ ) بنصيحة من استاذيه ( فيليبي ) و ( بريتوريوس ) إلى ( شتراسبورغ ) لتلقي العلم عن الاستاذ ( نولدكه ) ، أشهر مستشرق في ذلك الوقت . ويقول ( بروكلمان ) إنه بالفعل قد تعلم الكثير من ( نولدكه ) . وقد تركزت دراسته في الفصل الأول على اللغات الشرقية لدى ( نولدكه ) بالاضافة إلى اللغة ( السانسكريتية ) عند ( هوبشمان ) ثم ( الأرمنية ) و ( المصرية ) عند ( دوميشن ) . وكان هؤلاء الاساتذة يدرسون في بيوتهم لقلة الطلاب ، وكان ( بروكلمان ) يحضر في الغالب وحده عند ( نولدكه ) ، ويرافقه راهبان أرمنيان عند ( هوبشمان ) . ويلاحظ

( بروكلمان ) قائلاً : « كانت محاضرات ( هوبشمان ) شائقة ، مثيرة للاهتمام حتى إنني فكرت حيناً في الانتقال إلى التخصص باللغات الهندية ـ الجرمانية عوضاً عن الشرقية ، ولكن الاستاذ ( هوبشمان ) نصحني بالتخلي عن هذه الفكرة لأن جميع الكراسي في هذا القسم كان يتولاها في ذلك الوقت مدرسون في سن الشباب ولا أمل لذلك في الحصول على كرسي في القريب . »

يذكر ( بروكلمان ) ان المعيشة في ( شتراسبورغ ) كانت أغلى بكثير مما في ( برسلاو ) وانه لقي صعوبات كبيرة في أمر المسكن والطعام . ويبدو أن احد زملائه تحدث عن ضيق حاله الى الأستاذ ( نولدكه ) الذي استطاع أن يحصل له على منحة جيدة من إحدى المؤسسات الوقفية والذي نصحه في الوقت ذاته بأن يعود إلى دراسة اللغات الكلاسيكية والتاريخ حتى يضمن معيشته في المستقبل .

كذلك قام ( نولدكه ) في شتاء سنة ١٨٨٩ ـ ١٨٩٠ بترتيب جائزة عن موضوع طلب إلى ( بروكلمان ) معالجته ، واستجابة لذلك كتب ( بروكلمان ) أطروحته وعنوانها : « العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري » فنالت الجائزة التي ساعدته على طبع الأطروحة ( شتراسبورغ سنة ١٨٩٠ ) والتقدم بها إلى الجامعة لنيل الشهادة وحق التدريس ...

وفي فصل الصيف ( ١٨٩٠ ) حصل ( بروكلمان ) على وظيفة معلم خاص مقابل المسكن والطعام مع راتب شهري يبلغ ( ١٠٠ ) مارك وبذلك تمكن من التقدم إلى ( امتحانات الدولة لنيل شهادة أهلية التعليم الثانوي ) وبدأ التدريس في المدرسة الثانوية البروتستانتية في

( شتراسبورغ ) لمدة سنة تجريبية . وقد عهد إليه بساعات اضافية عديدة في مختلف الصفوف ، ثم عين في بداية عام ١٨٩١ معلماً مساعداً براتب ( ١٠٠ مارك ) كما ظل يسعى إلى إعطاء دروس خاصة لتوفير بعض المال الذي سوف يحتاج إليه عندما يعين « مدرساً خاصاً » في احدى الجامعات .

[ ملاحظة : ان نظام الجامعات الالمانية ، الموروث عن القرون الوسطى ، كان اذ ذاك ولا يزال الآن مختلفاً عن سائر الأنظمة الغربية في تصنيف المدرسين وترتيب درجاتهم وأسلوب ترفيعهم ، اذ يقضي بأن يبدأ الأساتذة بلقب ( مدرس خاص ) لا يتقاضى راتباً ثابتاً وإنما يتلقى أحياناً منحة دراسية كما يحصل على مبلغ من الرسوم التي يدفعها الطلاب الذين يستمعون إلى محاضراته وهذا المبلغ يزيد أو ينقص حسب عدد الطلاب . ]

شعر ( بروكلمان ) في خريف سنة ١٨٩٢ بضرورة اتخاذ قرار فيما يتعلق بمستقبله ومهنته . وقد أدرك انه ليس هناك من أمل في أن يحصل على وظيفة مدرس دائم في ( الثانوية البروتستانتية ) التي كان يقوم بتدريس ساعات اضافية فيها ، وذلك لأنه لم يكن هناك مكان شاغر اذ ذاك ، عدا ان ادارة المدرسة لم تكن ترغب في تعيينه لمعرفتها باهتماماته العلمية وتجاربها السابقة مع المدرسين الذين ينتظرون أول فرصة للانتقال إلى الجامعة .

يقول ( بروكلمان ) : « لما طلبت المشورة من الاستاذ ( نولدكه ) في التقدم إلى التدريس في جامعة ( شتراسبورغ ) نصحني بالتخلي عن ذلك لأن هذه الجامعة لا تقدم أي منحة للمدرسين الخاصين عدا أن شخصاً

اختصاصياً في اللغة الآشورية تقدم إلى قسم اللغات الشرقية ثم تقدم بعد مدة مدرس للغة العربية .

وهكذا اتجهت إلى الأستاذ ( بريتوريوس ) في ( برسلاو ) أسأله عن رأيه في العمل تحت رعايته فلم يعارض .

**٤ ـ « مدرس خاص » في ( برسلاو ) و ( برلين ) ( ١٨٩٣ ـ ١٩٠٠ )**

انتقل ( بروكلمان ) في تشرين الثاني ١٨٩٢ إلى ( برسلاو ) وتقدم إلى الجامعة باطروحة لنيل حق التدريس ، كان موضوعها تحقيق مخطوطة في مكتبة برلين ( لعبد الرحمن أبي الفرج بن الجوزي ) عنوانها « تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار » . وقد تأخر تعيينه عدة أشهر لأن الاطروحة كان يجب أولاً طبعها في ( ليدن ) بهوللاندا ، ثم لأن عميد الكلية ( كارو ) اليهودي لم يظهر اهتماماً خاصاً بالأمر بل كان ينتظر أن يتولى المدرس اليهودي ( فرنكل ) كرسي اللغة العربية بعد انتقال ( بريتوريوس ) إلى جامعة ( هاللة ) .

ويعترف ( بروكلمان ) ، الذي عين مدرساً خاصاً ، في أول سنة ١٨٩٣ ، أن الأستاذ ( فرنكل ) لم يحاول ، بعد وصوله إلى المنصب ، أن يثير العراقيل والمصاعب في طريقه ، بل كان يكتفي بأن يزوره مرة أو مرتين خلال الفصل الدراسي . ثم يقول ( بروكلمان ) :

« كانت مهنة التعليم في ( برسلاو ) لمستشرق مثلي تدعو إلى الرضى من حيث الدخل ، اذ كان هناك ، بالاضافة إلى ( كلية اللاهوت الكاثوليكية ) معهد للحاخامين اليهود يقصده عدد كبير من الطلاب الذين يدرسون اللغات السريانية والعبرية والعربية ، ويدفعون الرسوم المقررة لتأمين رواتب المدرسين الخاصين . »

يذكر ( بروكلمان ) انه توقف عن التدريس في فصل الشتاء سنة ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ للقيام برحلة الى ( لندن ) واستنساخ مخطوطة أحد اجزاء ( كتاب الطبقات الكبير ) لابن سعد ، الذي كان المجمع العلمي في ( بروسيا ) قرر نشره بإشراف الأستاذ ( ساخاو ) الذي كلف عدداً من المستشرقين الشباب بالتعاون معه . [ المقصود بذلك هو الجزء الثامن من الطبقات المتضمن تراجم النساء . وقد طبع في ليدن سنة ١٩٠٤ ] .

وفي الوقت نفسه أراد ( بروكلمان ) أن يحقق وينشر مؤلفاً آخر هو ( كتاب عيون الأخبار ) لابن قتيبة ، وكان قد استنسخ من قبل مخطوطة للكتاب استجلبها من ( بطرسبورغ ) ، ولكن تبين له أنها ناقصة وعلم أن النسخة الوحيدة الكاملة موجودة في ( استانبول ) فقرر متابعة رحلته إلى هناك وكان من الصعب أن يستنسخ المخطوطة بسرعة في مكتبة ( كوبريلي ) التي لم تكن تفتح أبوابها إلا بضعة أيام في الأسبوع ولمدة ساعتين فقط ، لذلك لجأ ( بروكلمان ) إلى السفارة الالمانية التي توسطت لدى مدير المكتبات العام في سبيل استعارة المخطوطة ، خلافاً للنظام ، ونسخها في دار السفارة . [ وقد طبع الكتاب في أربعة أجزاء في ( برلين ) و ( شتراسبورغ ) بين سنة ١٩٠٠ ـ ١٩٠٨ ]

تعرف ( بروكلمان ) في سنة ( ١٨٩٧ ) على السيدة التي أصبحت زوجته فيا بعد . إلا ان أحواله المالية لم تكن لتسمح له في ذلك الوقت بالارتباط بها فوراً . ولما كان راتب ( المدرس الخاص ) لايعتمد عليه في تكوين أسرة أدرك ( بروكلمان ) ضرورة السعي للوصول إلى منصب أستاذ في الجامعة . ولكن لما مات أستاذه المستشرق ( فيليبي ) الذي كان يأمل في احتلال مكانه ، استدعت الجامعة إلى الكرسي الشاغر أحد الاختصاصيين في اللغة ( السانسكريتية ) خلافاً للتقاليد ، فأصيب

( بروكلمان ) بخيبة الأمل ، وأخذ يفكر في التخلي عن السلك الجامعي وقد راودته الآمال بعض الوقت في الحصول على وظيفة ( مدير للمكتبة الوطنية ) في القاهرة التي كانت دوماً ، منذ تأسيسها يعهد بها إلى أحد المستشرقين الألمان ، ولكن رئيس معهد الاستشراق الأستاذ ( ساخاو ) أسرع إلى تعيين أحد أتباعه في هذا المنصب . ثم تقدم ( بروكلمان ) في صيف سنة ١٨٩٩ إلى وظيفة مدرس ثانوي أعلنت عنها مدينة ( مونيخ ) ويقول ( بروكلمان ) : « لحسن الحظ لم يقبل طلبي لأن حكومة ( بافاريا ) كانت بطبيعة الحال ترغب في تعيين مدرس ( كاثوليكي ) . »

ثم يضيف قائلاً : « وأخيراً جاء الفرج فجأة في أوائل سنة ١٩٠٠ ، فقد توفي اذ ذاك ، في سن مبكرة ، الاستاذ ( سوسين ) صاحب كرسي اللغات الشرقية في ( لايبزيغ ) واقترح لخلافته ( المدرس الخاص ) في ( هاللة ) ، المستشرق ( فيشر ) الذي يكبرني ثلاث سنوات والذي كان يعلم اللغة العربية منذ أربع سنوات بمعهد الاستشراق في برلين ، وطلب الي اشغال مكانه ، فانتقلت في الربيع الى ( برلين ) واقتصرت على استئجار مسكن مؤقت لأنه كان من المنتظر أن يشغر قريباً منصبان آخران في الجامعات . »

« كان معهد الاستشراق تابعاً للجامعة ولكنه يخضع في الوقت نفسه لإشراف وزارة الخارجية ، ولهذا السبب كان يتمتع بميزات مالية . فعلى الرغم من أن وظيفتي كانت على سبيل الوكالة فقد زاد دخلي إلى ثلاثة أمثال ما كان عليه . »

« ان الاستاذ ( ساخاو ) الذي أسس المعهد في سنة ( ١٨٨٦ ) اصطدم بمشاكل كثيرة من جراء حبه للتسلط والاستبداد ، فلم تمض مدة طويلة حتى اضطر المدرسون الأوائل الذين تم اختيارهم إلى التخلي عن العمل في

المعهد . وكان مدرس اللغة العربية العالم الكبير ( مارتين هارتمان ) الذي عاش مدة ( ١٦ ) عاماً في بيروت يعمل ترجماناً ونشر أبحاثاً كثيرة عن العالم العربي . ولم يستطع ( ساخاو ) أن يفرض عليه ارادته أو أن يبعده عن المعهد . ولكنه لجأ إلى تعيين مدرسين آخرين للغة العربية عهد إليهما بجميع المواد الدراسية وهكذا ظل ( هارتمان ) يتقاضى راتباً عالياً ويتمتع بأوقات فراغ طويلة استغلها للقيام برحلات عديدة إلى الشرق . »

يلاحظ ( بروكلمان ) أن ( مراكش ) كانت إذ ذاك ، مع الأسف ، تحتل مكانة خاصة في سياسة المانيا الخارجية حتى أصبحت فيما بعد من أهم أسباب الحرب العالمية الأولى لأنها أدت إلى الاصطدام مع الفرنسيين .

وقد عهد إلى ( بروكلمان ) بتعليم اللهجة المراكشية التي كانت غريبة عليه وكان لا بد له من تعلمها مستعيناً بمعيد مراكشي ، كان تاجراً غير مثقف من الرباط ولكنه كان نبيهاً ، مجتهداً وقد سبق أن دربه الاستاذ ( فيشر ) على متطلبات وظيفته . فكان ( بروكلمان ) يجلس معه كل يوم أربع ساعات حتى يتعب من الكلام . وكان على ( بروكلمان ) أن يقوم بالتعليم مدة ساعتين يومياً . ولحسن الحظ لم يكن هناك سوى ثلاثة طلاب أحدهم من الحقوقيين اعترف بأنه لم يتقدم إلى معهد الاستشراق إلا للخلاص من التعيين في الارياف . واستطاع الطالب الثاني في آخر الفصل الدراسي أداء الامتحان فاستخدم في شركة ( مانسمان ) التي كانت تستثمر بعض المناجم في ( مراكش ) ، أما الطالب الثالث فكان شاباً يهودياً تخصص في اللغة المصرية القديمة .

ويتابع ( بروكلمان قائلاً : « ان انشغالي بالمعيد المراكشي لم يترك مجالاً للاهتمام بالمعيدين العرب الآخرين الذين كان بينهم مدرس مصري

برز فيما بعد في حياة بلاده السياسية . وكان هناك زنجي من الحوساء يتكلم اللهجة التونسية عدا لغته الأصلية . اما المعيد لتعليم اللهجة السورية الذي لم يكن لديه طلاب يتولى أمرهم فكان يتيماً مسيحياً لجأ إلى المانيا في أثناء مذابح سنة ١٨٦٨ بدمشق وحصل على الجنسية الالمانية وعين كاتباً في بلدية ( برلين ) .

كانت لهجات المعيدين العرب تختلف بعضها عن الآخر إلى درجة يصعب معها التفاهم فيما بينهم فيضطرون إلى التحدث بالالمانية . »

**٥ ـ أستاذ بلا كرسي في ( برسلاو ) ( ١٩٠٠ ـ ١٩٠٣ )**

« في نهاية صيف سنة ١٩٠٠ عرضت علي في وقت واحد وظيفةَ أستاذ بلا كرسي في جامعة ( أرلانغن ) ومثلها في جامعة ( برسلاو ) . لم يكن الاختيار سهلاً لأن جامعة ( أرلانغن ) اقترحت راتباً يزيد بمقدار ( ٨٠٠ ) مارك ، عن ( برسلاو ) . ولما استشرتُ موظفاً في وزارة التعليم أعرفه جيداً إذ كان قبلاً استاذاً في ( برسلاو ) ، نصحني بعدم الذهاب إلى ( أرلانغن ) لأنه لم يكن هناك كرسي أستاذ يمكن أن يشغر الا في « مونيخ » وهو الكرسي الذي ظل الاستاذ ( هو ممل ) يشغله أكثر من ( ٢٥ ) عاماً بعد ذلك التاريخ . »

« ثم عرض علي معهد الاستشراق وظيفة ثابتة عوضاً عن الوكالة وبراتب يبلغ ضعف الراتب الذي ينتظرني في جامعة ( برسلاو ) . ولكن العمل في المعهد كان يعني الخضوع لسيطرة الأستاذ ( ساخاو ) الذي رفض طلب الأستاذ ( فيشر ) للتدريس في جامعة ( برلين ) كما لم يقبل أيضاً أن أتقدم باطروحة لنيل هذا الحق . »

**يقول ( بروكلمان ) : « هكذا استقر رأيي على قبول العمل في جامعة**

( برسلاو ) . وربما كانت فكرة السكنى في مدينة واحدة مع المرأة التي صممت على الاقتران بها من الحوافز الدافعة إلى هذا الاختيار . وعلى كل حال أثبتت لي الأيام صحة رأي صديقي . »

« وقد تبين لي أن منصب أستاذ بلا كرسي أسهل وألطف وظيفة جامعية . ولم أفهم لماذا ألغيت هذه المرتبة فيما بعد . إن صاحب هذا المنصب كان موظفاً براتب ثابت وان لم يكن مرتفعاً وكانت واجباته تقتصر على التعليم دون الاشتراك في أعمال الجامعة الادارية التي تؤدي إلى إضاعة كثير من الوقت . »

وقد التقى ( بروكلمان ) في ( برسلاو ) بعدد من أصدقائه القدماء كما كان يحضر حلقتين علميتين للمناقشة والقاء المحاضرات . وكانت احدى الحلقتين مؤلفة ، من الأساتذة أصحاب الكراسي الذين قرروا أن لا يقبلوا بينهم يهودياً بعد تجارب مؤسفة لهم مع مدرس كيمياء يهودي من أصحاب الملايين . عند ذلك اتفق عدد من الاساتذة اليهود على تأسيس حلقة ثانية دعوا إليها بعض المسيحيين ، بينهم ( بروكلمان ) وصديق آخر . وكان ( بروكلمان ) يرغب بالدرجة الأولى في الاجتماع بالمدرسين المشتغلين بعلوم الاستشراق . وقد حدد يوماً معيناً في الأسبوع لدراسة اللغة القبطية مع أستاذين متخصصين . ويشير ( بروكلمان ) إلى التجارب والفوائد الكثيرة التي اكتسبها في هذه الاجتماعات .

**٦ ـ الانتقال إلى ( كونيكسبرغ ) في منصب أستاذ ذي كرسي ( ١٩٠٣ ـ ١٩١٠ )**

يقول ( بروكلمان ) : « في شتاء ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ طلب صاحب كرسي اللغات الشرقية في جامعة ( كونيكسبرغ ) الاستاذ ( يان ) إحالته على التقاعد قبل بلوغ المدة القانونية ، إذ كان غنياً وسبق له أن عاش في ( برلين ) وهو شاب منتقلاً بين أندية الرّقص فأراد العودة إلى حياة

الراحة واللهو . وعلى الرغم من أن علاقاتنا لم تكن حسنة منذ التقائي به مدة قصيرة في ( استانبول ) عند البحث في المخطوطات فإنه لم يستطع أن يعارض ترشيحي للحلول مكانه . وهكذا انتقلت في ربيع ( سنة ١٩٠٣ ) إلى ( كونيكسبرغ ) وتوليتُ منصب كرسي اللغات الشرقية . لم يكن راتبي قد ازداد كثيراً في بادئ الأمر ، ولكن أصبح في استطاعتي الآن الاقدام على الزواج بالمرأة المختارة ، الا أنني لم أجسر على دعوتها إلى السكنى في هذه المدينة بسبب قساوة اقليمها ، عدا أن أملي كان كبيراً إذ ذاك في الانتقال بسرعة إلى ( ماربورغ ) . »

ظل ( بروكلمان ) استاذاً في ( كونيكسبرغ ) مدة سبع سنوات وعاش مع عدد من الزملاء الذين استرسل في وصفهم ولكنه لم يشترك كثيراً في حياتهم الاجتماعية ، كما لم يكن راضياً عن نشاطه في التعليم لأن سلفه لم يترك له من الطلاب سوى عدد قليل من اليهود الشرقيين الذين كانوا يتسابقون إلى نيل الاجازة ، فكان يثير العراقيل في سبيلهم للخلاص منهم بسرعة .

وكان ( بروكلمان ) يقضي فترات العطلة الجامعية في الأسفار . وقد رافق مرة صديقه ( روزن ) إلى ايطاليا التي تكررت رحلاته إليها بعد ذلك . وفي عطلة عيد الفصح سنة ( ١٩٠٥ ) اشترك في مؤتمر المستشرقين بالجزائر وكان يرغب في زيارة ( مراكش ) حسب البرنامج الذي أعلنه المؤتمر ولكن السلطات الفرنسية لم تسمح بذلك لتوتر العلاقات بين فرنسا والمانيا في تلك الفترة بسبب حادثة ( أغادير ) . فقام برحلة إلى واحة ( بسكرة ) في الصحراء التي سكن فيها ( ابن خلدون ) عند تأليف المقدمة . وفي طريق العودة إلى المانيا زار في ( شتراسبورغ ) استاذه ( نولدكه ) الذي كان تقدم في السن كثيراً .

ثم اشترك ( بروكلمان ) في مؤتمر المستشرقين المنعقد سنة ١٩٠٨ في ( كوبنهاغن ) بدعوة من رئيس المؤتمر المستشرق الدانياركي ( بول Buhl ) الذي أصر على أن يعهد إليه برئاسة فرع اللغات السامية . ويقول ( بروكلمان ) : « لم تكن هذه المهمة مستحسنة لأنها كانت ترغمني على حضور الجلسات جميعها ولأن المناقشات تخللتها حوادث شغب مؤسفة إذ حاول أحد الاميريكين الالمان اسمه ( هاوبت ) ، في خطاب ألقاه أن يبرهن على أن المسيح لم يكن يهودياً ، بل كان من العرق الآري . وقد أثار هذا القول عاصفة من الاستنكار لدى اليهود الكثيرين الحاضرين الذين كانوا يكفرون بالمسيح ولكنهم لم يكونوا يريدون فقدان هذا الرجل المشهور من جملة أبناء جنسهم . وعدا ذلك اصطدمت مع أحد رجال اللاهوت الكاثوليك من ( شتراسبورغ ) اسمه ( فوهاير ) ، وهو الذي أصبح رئيس أساقفة ( مونيخ ) فيما بعد ، اتهمني بالاعتداء على حرية الكلام وبمنعه عن إبداء آرائه كما يشتهي .

ويتابع ( بروكلمان ) سيرته قائلاً :

« إن السنوات السبع في ( كونيكسبرغ ) كان يمكن أن تصبح أسوأ مما وصفت لو لم أكن في تلك الفترة منهمكاً كلياً في تأليف أحب كتاب الي من سائر كتبي ، وأعني بذلك ( كتاب الأساس في قواعد اللغات السامية المقارنة ) الذي طبع في برلين ، الجزء الأول سنة ( ١٩٠٧ ) والجزء الثاني ( ١٩١٣ ) ، ومن المؤسف أن الكتاب لم يطبع ثانية لأن دار النشر ( رويتر ورايخارد ) أغلقت بعد موت صاحبها الرئيسي . وقد قام اثنان من الزملاء الفرنسيين بترجمة ملخص للكتاب حاولا فيه مراعاة متطلبات التعليم في المعاهد الاستعمارية الفرنسية . »

ويذكر الأستاذ ( زلهايم ) على الهامش ان ( بروكلمان ) كان قام في الوقت نفسه بتأليف كتاب صغير ضمن سلسلة كتب ( غوشن ) بعنوان « علم اللغات السامية » صدرت الطبعة الأولى منه في ( برلين ) سنة ١٩٠٦ والطبعة الثانية المنقحة سنة ١٩١٦ . ثم انتهى ( بروكلمان ) من الاعداد لطبعة ثالثة وكتب في أوائل ١٩٥١ إلى ( زلهايم ) بفرانكفورت يخبره أن مخطوطة هذه الطبعة موجودة لدى دار النشر منذ سنة دون أن يتم طبعها . ويلاحظ الأستاذ ( فوك ) في كتابه عن المشرقين ان ( بروكلمان ) قام في السنوات العشر الأخيرة من حياته بإعداد طبعة جديدة للكتاب تتلاءم مع التقدم العلمي ويراعى فيه قبل كل شيء لغة ( اوغاريت ) . وفي حين يدعي ( فوك ) ان هذا المشروع لم ينفذ ، يقول ( زلهايم ) ان مخطوطة ( كتاب الاساس ) ومخطوطة الأجزاء الملحقة من كتاب ( تاريخ الآداب العربية ) موجودة وقد اخترقها الرصاص ، ملقاة في ( هاللة ) دون أن يستفاد منها .

يروي ( بروكلمان ) انه تزوج في خريف سنة ١٩٠٩ وقضى شهر العسل في أحد منتجعات ( بافاريا ) ثم عاد إلى عمله في ( كونيكسبرغ ) و بقي هناك في فصل الشتاء الذي كان لحسن الحظ معتدلاً ..

**٧ ـ الانتقال إلى ( هاللة ) ( ١٩١٠ ـ ١٩٢٢ )**

في كانون الأول سنة ١٩٠٩ تلقى ( بروكلمان ) دعوة إلى تولي كرسي أستاذ اللغات الشرقية في جامعة ( هاللة ) الذي تخلى عنه أستاذه ( بريتوريوس ) مفضلاً احتلال مكان الأستاذ ( فرنكل ) بعد موته في ( برسلاو ) . وقد انتقل ( بروكلمان ) في بداية سنة ١٩١٠ إلى ( هاللة ) حيث ظل يعمل مدة ( ١٢ ) عاماً ( من ١٩١٠ ـ ١٩٢٢ ) وحيث رزق ابنته ثم ابنه .

يقول ( بروكلمان ) عن عمله الجامعي في ( هاللة ) :

« ان ظروف وظيفتي في ( هـاللـة ) كانت أفضـل بكثير ممـا في ( كونيكسبرغ ) فقد لقيت هنا عدداً من الطلاب الموهـوبين والمستمعين المهتمين باللغات الشرقيـة . ولما أرسل الأستاذ ( ماينهوف ) ، المتخصص باللغات الافريقيـة في ( هـامبورغ ) يسـألني ترشيح أحد طلابي لوظيفة أستاذ مساعد ذكرت له اسم ( كلينكن هيبل ) الذي أصبح فيما بعد خليفة ( ماينهوف ) في ( هامبورغ ) ، ثم ظهر في الفصل الدراسي التالي بين الطلاب ( هلموت ريتر ) الذي كان لاهوتياً موهوباً ولكنه انتقل بسرعة إلى فرع اللغات الشرقيـة وهو الذي رشحته ليكون مساعداً للأستاذ ( بيكر ) في ( هامبورغ ) . وقد تولى خلال الحرب العالمية الأولى وظيفة ترجمان في الشرق لمدة سنتين ثم أصبح خليفـة ( بيكر ) في جـامعـة ( هامبورغ ) . ولكنه ، مع الأسف ، ارتكب بعض الأعمال الشاذة التي أدت إلى فصله عن العمل . وقد عاش منذ ذلك الوقت في استانبول حيث قام في بادئ الأمر بادارة فرع ( جمعية المستشرقين الالمان ) هناك ثم عين أستاذاً في جامعة ( استانبول ) فاستطاع انجاز كثير من الأعمال الباهرة . وقد أضاف ( بروكلمان ) على هامش مخطوطته الملاحظة التالية : عندما سرح الأتراك جميع الأساتذة الالمان في سنة ١٩٤٧ جاء ( ريتر ) إلى المانيا ولكن الدسائس حالت دون إعادته إلى وظيفته في جامعة ( هامبورغ ) ، لذلك شعر بالفرح لما استدعي في سنة ١٩٤٩ إلى التدريس في جامعة( فرانكفورت / ماين ) .

يتحدث ( بروكلمان ) بالتفصيل عن اندلاع الحرب العالميـة الأولى ( ١٩١٤ ) التي كانت مفاجئة للطبقة ( البورجوازية ) كافة . ويقول : « فقد كان الكثيرون يشعرون بالاستياء من هزائم المانيا الدبلوماسية في

قضية ( مراكش ) وظلوا يتابعون سياستنا في الشرق بكثير من الارتياب والقلق ولكن دون أن يدركوا ان هذه السياسة كانت تمهد لمسيرة الشعب الالماني في طريق الموت ، كما قال أحد المؤرخين الحديثين . ولم يكن ذلك رأي أساتذة الجامعات فقط ، الذين يوصفون بالبعد عن واقع الحياة ومجرى الأحداث . فقد صرح مثلاً صاحب أكبر مصرف في ( هاللة ) اذ ذاك بعد أيام قليلة من نشوب الحرب بأنها لن تدوم أكثر من أربعة أسابيع ( وذلك حسب رأيه ) بسبب تشابك المصالح الدولية - الرأسمالية . »

كانت الحرب في بادئ الأمر تسير سيراً حسناً يبعث على التفاؤل ، ولم يبدأ الناس يشعرون بالقلق على المستقبل الا بعد مرور سنتين عندما ازدادت المشاكل الاقتصادية والقيود المفروضة على شروط الحياة .

كان على ( بروكلمان ) في السنة الثالثة من مجيئه إلى ( هاللة ) أن يتولى عمادة الكلية التي كان يتجدد انتخاب صاحبها في كل فصل دراسي . وفي حين كان هذا المنصب يدر دخلاً جيداً في المعتاد تضاءلت وارداته كثيراً خلال الحرب .

ثم ماكاد ( بروكلمان ) في صيف سنة ١٩١٨ ينتخب رئيساً لجامعة ( هاللة ) حتى أخذت المشاكل الاقتصادية والادارية تزداد بسبب انهيار المانيا العسكري وتدفق الجنود العائدين من ساحات الحرب واندلاع الثورات والاضطرابات في كل مكان .

كان الاستياء شديداً في الجامعة ضد مدير المكتبة في ذلك الوقت حتى ان مجلس الجامعة قرر تكليف الرئيس ( بروكلمان ) مع أحد أساتذة التاريخ بالذهاب إلى برلين وتقديم الشكوى شخصياً . ولكن من المؤسف

أن مدير المكتبة كان يتمتع بحماية الوزير . ولذلك عندما عقد الاجتماع في الوزارة ، حيث انضم إلى الوفد المستشرق الأستاذ ( بيكر ) الذي كان يشرف على أمور الجامعات في الوزارة ، لم يستطع اقناع الوزير بسوء تصرفات مدير المكتبة . فبقي هذا المدير في وظيفته ولم تتمكن الوزارة من إثبات فساده الا بعد سنتين من وفاته ..

يقول ( بروكلمان ) : « لم تمض أيام على اندلاع الثورة على الامبراطور في ( كيل ) حتى تدفق جنود البحرية وأخذوا يسيرون في شوارع ( هاللة ) أيضاً رافعين الرايات الحمراء ، وقد حصلت بعض التغييرات في وظيفة عمدة المدينة وفي وزارة التعليم . واضطر مجلس الجامعة إلى تأليف ( لجنة اصلاح ) برئاستي تجمع كافة الاساتذة بكرسي أو بلا كرسي و باشرت عقد الاجتماعات مرة كل اسبوع تحتدم فيها المناقشات دون الوصول إلى أي نتيجة . وفي اجتماع حر للمدرسين تقرر أن « تخرج الجامعة إلى الشعب » كما كان يقال في روسيا . كذلك تقررت الدعوة إلى « أمسيات شعبية ، تجتمع في قاعة الجامعة كل اسبوعين مرة تلقى فيها محاضرات تعالج الموضوعات السياسية والاقتصادية و تعقبها مناقشات حرة . كانت هذه الأمسيات تمضي في المعتاد على أحسن وجه ، وان كانت أحياناً لاتخلو من طرائف غريبة واصطدامات مضحكة ، فقد قام مرة أستاذ الاقتصاد ( ونتيغ ) الذي كان والده يتمتع بثروة وسلطات جامعية واسعة وألقى محاضرة أعلن فيها أنه « بروليتارى » ( أي صعلوك ) أيضاً مثل أي عامل آخر لأنه إنما يعيش من عمله وجهده ، فارتفعت أصوات العمال تتهكم وتسخر من مظاهر ثيابه الفاخرة . ووقع مرة أخرى حادث مزعج إذ ما كدت أعلن افتتاح الاجتماع حتى اندفعت جماعة كبيرة من الشيوعيين ودخلت القاعة براياتها الحمراء وبرز بعضهم

فوق منصة الخطابة فأسرعت إلى إلغاء الاجتماع وخرج جميع الحاضرين وهم يزمجرون . وكان في القاعة عدد من رجال الشرطة لا حظوا بعض المشاغبين الذين اندسوا بين العمال فقبضوا عليهم بعد أيام ودعيت إلى السجن لمواجهتهم . »

يروي ( بروكلمان ) حوادث فترة الاضطرابات من استدعاء طلاب الجامعة العائدين من جبهات الحرب وجمعهم في ثكنات بألبستهم ومعداتهم العسكرية واتخاذهم حرساً خاصاً لحفظ الأمن والنظام حتى هدأت الأحوال في ( هاللة ) وغيرها من المدن ، ثم يقول :

« بعد أن نجح الاشتراكيون في توطيد سيطرتهم عهدوا بوزارة التعليم إلى زميلي المستشرق ( بيكر ) ، وهو من الديموقراطيين ، فتقدم بمشروع معقول يفرض على الجامعات أن تعمل بجميع الوسائل لنشر المعرفة بين الطلاب عن البلاد الأخرى ، لأن نقص هذه المعرفة هو الذي دفع الالمان إلى هاوية الحرب . ويقضي ذلك المشروع بأن تتولى جامعة ( غوتنغن ) الاعتناء خاصة بالحضارة الانكليزية والاميريكية وبأن يعهد إلى جامعة ( بون ) بالاهتمام بالحضارة الفرنسية وإلى جامعة ( برسلاو ) بحضارة العالم السلافي ، وأخيراً كان على جامعة ( هاللة ) ، وهي مركز جمعية المستشرقين الالمان ، أن تركز جهودها على الشرق . ولهذه الغاية عقدت اتفاقية بين الجمعية ووزارة التعليم تنص على تزويد الجمعية بالأموال اللازمة لاختيار رئيس قدير لمكتبة الجمعية ولشراء ما تحتاج إليه من كتب . كذلك تقرر الحاق المكتبة بمعهد للاستشراق يؤسس مجدداً وتكون له ميزانية خاصة . »

**٨ ـ الانتقال إلى ( برلين ) ( ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣ )**

في شتاء ( ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ ) شغر كرسيان لأستاذية اللغات الشرقية

في ( بـون ) و ( برلين ) و عرضت الـوزارة على ( بروكلمـان ) اختيـار أحدهما . فلم يكن الأمر سهلاً . كان هناك من جهة جمال ( جامعة بون ) على ضفاف ( الراين ) التي كان الاحتلال الفرنسي ، مع الأسف ، يشوه روعتها ، وكان هناك من جهة ثانية امكانيات للتدريس في ( برلين ) ولكن مع صعوبات كبيرة في العثور على مسكن . وقد سافر ( بروكلمـان ) أولاً إلى ( بون ) لمشاهدة الوضع عن كثب . فلما التقى هناك بصديقه الأستاذ ( مايسنر ) نصحه بأن يرفض المجيء إلى ( بون ) . ذلك لأن سلفه الأستاذ ( ليتمان ) لم يقم بتنظيم المعهد الذي كانت تنقصه كل الأجهزة اللازمة ، ولأن سلطات الاحتلال الفرنسي كانت تتعمد ازعاج المواطنين الالمان . هكذا علم ( بروكلمـان ) من أحد معارفه وهو رجل غني جداً من ( برسلاو ) ان الضباط الفرنسيين أقدموا على مزاحمته في قصره فلم يتركوا له سوى غرفتين بالطابق الأرضي لسكناه . وكان على المواطن الالماني إذا قابل ضابطاً فرنسياً في الطريق أن ينزل عن الرصيف . ومعروف أن أكثر الجنود الفرنسيين كانوا من الهندالصينية .

يقول ( بروكلمـان ) : « استقر رأيي بعد التفكير على اختيار العمل في برلين ، حيث قطعت لي الوعود بتأمين منزل لي سريعاً ثم ببناء معهد علمي جديد للاستشراق ، و قد تظاهر ( بيكر ) حسب العادة ببذل كل الجهود لتحقيق الوعود . ولكن تبين انه إنما كان يماطل في تقديم المساعدة لأن منصبه في الوزارة لم يكن راسخاً بسبب مطالبة الاشتراكيين تعيين أحد منهم مكانه ، فأراد الاحتفاظ بكرسي اللغات الشرقية في برلين لنفسه . » وهكذا ظل ( بروكلمـان ) يسافر كل اسبوع مدة يومين إلى برلين لالقاء محاضراته . وكانت قيمة المارك الالماني تتدهور من يوم إلى آخر من جراء التضخم الهائل في النقد فكان الراتب الذي يدفع له كل

اسبوعين مرة لا يكاد يكفي للعيش في أبسط الفنادق والمطاعم . الا ان ( بروكلمان ) كان راضياً عن نشاطه في التعليم اذ كان عدد الطلاب في قسم اللغة العربية يبلغ السبعين كما أن عددهم حتى في فرع مهمل مثل اللغة الحبشية لم يكن يقل عن الخمسة .

**٩ ـ الانتقال إلى ( برسلاو ) ( ١٩٢٢ ـ ١٩٣٧ )**

في أواخر سنة ( ١٩٢٢ ) استدعي ( بروكلمان ) لاحتلال كرسي أستاذه السابق ( بريتوريوس ) الذي تقاعد في ( برسلاو ) . وكان التضخم النقدي قد بلغ أقصى الحدود فلاحظ ( بروكلمان ) عند انتقاله من ( هاللة ) ان كل مدخراته في المصرف لم تعد لها أية قيمة . ولم تستقر الاحوال الا بعد اصدار المارك الجديد في سنة ١٩٢٣ وبعد تدفق البضائع من البلاد الأجنبية .

استطاع ( بروكلمان ) ، بعد التغلب على مصاعب السكنى ، أن يقضي بضع سنوات هنيئة في ( برسلاو ) ، على الرغم من أن نشاطه في التعليم تقلص بالنسبة إلى الماضي لأن طلاب اللاهوت الكاثوليك الذين كانوا يقصدون دروسه قل الآن عددهم بعد أن صرح رئيس الأساقفة ان الطلاب التابعين له أصبح من الأفضل لهم أن يتعلموا اللغة البولونية عوضاً عن العبرانية .

انتخب ( بروكلمان ) في سنة ١٩٢٨ عميداً للكلية التي كانت في ( برسلاو ) ما زالت تجمع بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية ، فكثرت أعمال وظيفته ولكن دخله أيضاً زاد كثيراً حتى رأى انه يستطيع القيام في عطلة عيد الفصح ( ١٩٢٩ ) برحلة إلى استانبول ، على أن الطقس هناك كان في تلك السنة ما زال بارداً والعمل لم يكن سهلاً في المكتبات

التي كانت دون تدفئة في استانبول . ثم يستأنف ( بروكلمان ) سيرته الذاتية قائلاً :

« من المؤسف أن الحالة السياسية ازدادت اضطراباً وتوتراً في السنوات التالية بسبب الدعاية النازية . في سنة ( ١٩٣٢ ) طلب المعهد العالي التقني ( أي كلية الهندسة ) الانضمام إلى الجامعة لأن المعهد لم يكن يزدهر على الرغم من تجهيزاته الجيدة ، ومن البيئة الصناعية الغنية المجاورة . وكان المرشح لرئاسة الجامعة في سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ هو عالم الفيزياء ( شيفر ) الذي كانت مصلحته تدعو ، بطبيعة الحال ، الى توحيد المعهد التقني مع الجامعة ، وخوفاً من اتخاذ قرار متحيز طلب الي بصفتي محايداً لا علاقة لي بالأمر أن أتولى رئاسة الجامعة ، فكانت النتيجة ازدياد أعمالي الادارية إذ كان من واجبي أن أترأس اللجنة المختلطة من أساتذة الجامعة والمعهد التقني في جلسات لا نهاية لها . ولما أخذت سيطرة النازيين في الازدياد تخلى أكثر أساتذة المعهد عن مشروع التوحيد لأنهم كانوا يطمعون في الحصول على تأييد أكبر من حكومة جديدة .

ومن أسوأ الحوادث التي جابهتني في رئاسة الجامعة قضية ( كوهن ) . فقد كان أساتذة الحقوق استدعوا الى كرسي ( التشريع الالماني ) استاذاً يهودياً اسمه ( Cohn كوهن ) . وفي الحال أشيع ان النازيين سيحتجون على ذلك ، وفي اليوم الأول من الفصل الدراسي جاء ( كوهن ) إلى مكتب رئاسة الجامعة وطلب مني حمايته لأن الطلاب في قاعة المحاضرات كانوا يصرخون ويشاغبون . فرافقت الاستاذ الى القاعة وحذرت الحاضرين الذين كان بينهم الكثيرون من غير الطلاب وأنذرتهم بضرورة احترام كرامة الجامعة . وقد ساد الهدوء برهة ولكن ما كاد الاستاذ يبدأ الكلام حتى عاد الضجيج أكثر شدة . ولما تكرر ذلك ثلاث مرات طلبت

استدعاء الشرطة لاخلاء القاعة . وقد تكررت هذه الحوادث في شهري تشرين الثاني وكانون الأول ( ١٩٣٢ ) ولم تهدأ الحالة حتى بعد إغلاق الجامعة كلها مدة ثلاثة أيام . »

وقد تعرض الاستاذ ( بروكلمان ) الى هجمات الصحف النازية لقيامه بواجب رئيس الجامعة في منع الشغب والفوضى .

على انه بعد ابعاد ( كوهن ) عن الجامعة وتسلّم النازيين للسلطة في ( آذار ١٩٣٣ ) كان ( بروكلمان ) قد بلغ الخامسة والستين من العمر وكان يمكن حسب الانظمة الجديدة احالته على التقاعد في الحال . ولكن وزير التعليم الجديد الذي جاء لزيارة ( بروكلمان ) في رئاسة الجامعة ، قابله بلطف وطلب منه البقاء في وظيفته حتى خريف سنة ( ١٩٣٥ ) .

وقد انتقل ( بروكلمان ) في سنة ( ١٩٣٧ ) الى مدينة ( هاللة ) وظلّ يعيش براتب التقاعد وما يصله من مكافآت عن كتبه . ثم انقطع راتب التقاعد في شباط ١٩٤٥ بعد انهيار الحكم النازي واحتلال ( برسلاو ) من قبل البولونيين . وكان ( بروكلمان ) قد فقد جميع مدخراته في المصرف بعد دخول السوفييت والغاء كل الاوراق النقدية . وهو ما كان ليستطيع المعيشة خلال صيف ١٩٤٥ لولا أن ناشر كتابه ( القاموس السرياني ) [ الطبعة الثانية ، هاللة ١٩٢٨ ] أرسل اليه بقية المكافأة المستحقة .

حاول ( بروكلمان ) عبثاً في هذه الفترة أن يجد عملاً لكسب رزقه الى أن توسط له رئيس جامعة ( هاللة ) الاستاذ ( آيسفيلد ) فعين مستشاراً لمكتبة جمعية المستشرقين الالمان ، كما سبق ذكره في المقدمة . ثم تولى ( بروكلمان ) كرسي اللغة التركية مدة عدة سنوات اعتباراً من سنة

١٩٤٧ الى أن أحيل على التقاعد للمرة الثانية سنة ١٩٥٣ . وقد تعرض يوم عيد الميلاد سنة ١٩٥٥ الى برد شديد في احدى الكنائس القديمة فمرض ثم مات ( ٥ ايار ١٩٥٦ ) وقد قام زميله المستشرق ( آيسفيلد ) بالقاء كلمة تأبينية في حفل كنائسي بسيط ، ولكن اصدقاء ( بروكلمان ) وتلامذته الكثيرين تنادوا في ١٧ ايلول من السنة نفسها لاقامة احتفال ضخم في القاعة الكبرى بجامعة ( هاللة ) بمناسبة عيد مولده الثامن والثمانين فتحدث الخطباء عن مآثر هذا العلامة والاستاذ المشهور واستعرضوا مؤلفاته القيمة الكثيرة التي مازال المستشرقون يعتمدون عليها .